ماهية الأدب الإسلامي ومكانته بين التراث والحداثة

أ/ خديجة عبد الرحيم
المركز الجامعي – مغنية-

الملخص:

الأدب الإسلاميّ نموذج المثقّفين الواعيين الذين يرتقون بفكرهم وفنّهم والتزامهم الإسلاميّ إلى أسمى معاني الأدب الملتزم، ويحاربون بعقيدتهم وإيمانهم كلّ فساد أخلاقيّ أو اجتماعيّ أو حتّى ثقافيّ، وبالرّغم من الظّروف الحضارية العائقة عن النّهضة لم يستسلم الأدب الإسلاميّ للانهزام والتّراجع وذلك راجع إلى وجود أدباء جادّين مثقّفين والأكثر من ذلك أنّهم متمسّكون بأصالتهم الإسلاميّة مؤمنون بأنّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وبهذا التّأصيل يرقى الأدب الإسلاميّ إلى قمّة الإبداع الإنسانيّ في كونه نظيفاً سامي المقاصد والغايات، مترفّعاً عن الإسفاف في شكله ومضمونه، فهو مفتوح لكلّ لفظ عربيّ شريف.

كما أنّه يهدف إلى بعث وعي يسهم في تصحيح أخطاء البشريّة، ويمثّل بذلك نموذج المثقّفين الذين يرتقون بفكرهم وفنّهم والتزامهم إلى أسمى معاني الحياة.

Abstract:

Islamic literature is the model of educated intellectuals who rise up in their Islamic thought, art and commitment to the highest meaning of committed literature; they fight with their faith any moral, social or even cultural corruption. Despite the cultural conditions that hindered the Renaissance, Islamic literature did not succumb to defeat and regression. That is because they are committed to their Islamic origin, believing that there is no fear for them and they do not grieve.

With this rooting, the Islamic literature rises to the top of human creativity in its cleanness of the Sami, the purposes and the ends, far from the obscurity in its form and content. It is open to every Arabic Word.

It also aims at creating an awareness that contributes to correcting the mistakes of humanity, and thus represents the model of intellectuals who rise up in their thoughts, art and commitment to the highest meanings of life.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

يُعدّ الأدب الإسلاميّ لوناً من ألوان الأدب العربيّ، الّذي تميّز باستناده إلى قاعدة ثابتة أصليّة تمتدّ منذ أكثر من خمسة عشر قرناً وعلى مساحة مكانيّة في قارّات الدّنيا كلّها أين زرعت بذور الإسلام.

إنّه أدب المسلمين في قوّتهم وضعفهم، في فرحتهم وقرحهم، في حربهم وسلمهم، ماداموا يستمدّون تصوّرهم من الكتاب الخالد والسّنة المطهّرة، فللأدب الإسلاميّ مكانة رفيعة بين قومه وأهله، وموضع اهتمام بين دارسيه محبّيه، وقد تبرز هذه الأهميّة أكثر عند المعوّقات الكثيرة والمجالات من أتباع المذاهب الغربيّة لإنكار الأدب الإسلامي ومسخ الشّخصية الإسلاميّة.

فقد نجد للأدب سلطانه على النّفوس والقلوب، تتسّرب إليه في غفلة منه وعفويّة لا تكاد تعرف المقاومة، وهذا مقتطف من كلمات الرّوائي الآتية: تبيّن مدى التّأثير الحاصل في تكوين ناشئتها وتأليف دوافعهم النّفسيّة ومن ثمّة مواقفهم في الحياة: "ربّما يتّهمني البعض أنّي أبالغ في تأثير الحرفة التي أمارسها، حين أقرر أنّ أغلبية الشّبان والشّابات... يحصلون على معظم تعليمهم الأخلاقي من الرّوايات التي يقرؤونها، ستذكر الأمهات تلقينهن الرقيق لأطفالهم، وسيذكر الآباء المثل الصالحة التي يضربونها بأشخاصهم، وسيتحدّث المدرسون عن روعة دروسهم الأخلاقيّة، ما أسعد الشّعب الذي فيه هؤلاء الأمهات والآباء والمدرّسون، ولكنّ الرّوائي يتسلّل في خفية إلى مكان أعمق ممّا يبلغه أب أو مدرّس، وقد يكون أعمق مما تبلغه أمّة فإنّه هو القائد الذي اختاره الشباب لأنفسهم والمعلّم الّذي تتلمذوا له عن طواعية".[1]

وبهذا لم يمنع هذا الأدب من الظّهور والانتشار واحتلال المكانة البارزة في المشهد الإضافي ليكون رائداً لأنّه يحمل بذرة الصّحوة الإسلاميّة ويعبّر بصدق عن التّصور الشّامل للإسلام، ويجعل الإنسان مكرما بتطلّعاته، وهذا ما يسعى الأدب الإسلاميّ إلى تحقيقه معبّراً عن واقع يعيش فيه الإنسان تجارب مختلفة تحاول اقتلاعه من جذوره، أمّا الأديبّ الإسلاميّ، فهو دائماً يسعى إلى فهم هذا الواقع من خلال ملاحظاته في جوانب عقديّة وفكريّة وسلوكيّة على مستوى الفرد والجماعة إنّه يساهم في التّجربة الأدبيّة إبداعاً ودراسة ونقداً من خلال الأحداث والشّخوص والزمن إذ "يحاول أن يستمدّ إنتاجه من هذا الواقع ومن المعاناة التي يعيشها المسلم الذي يعيش العزلة الثّانية في هذا العصر، متسلحا بوعي وحس إسلاميين مستمدّين من فهمهم للإسلام وفهم أصوله وعقيدته وشريعته وآدابه، واعين للحدود التي تفصل عالم الإسلام عن غيره وحدود الحلال والحرام والمباح والممنوع"،[2] وبهذا يكون الأديب برؤيته الشّاملة يعني بأنّ الإسلام هو الحياة، وأنّ

[1] محمّد عادل الهاشميّ، في الأدب الإسلاميّ"تجارب ومواقف"، دار القلم، دمشق، ط1، السنة 1987، ص105.

[2] محمّد حسن بريغش، الأدب الإسلامي"أصوله وسّماته"، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط2، السنة 1986، ص8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسانية لا تحقّق طمأنينتها وسعادتها ورقيّها وإبداعها والفلاح في كل مجالاتها إلاّ بالإسلام، ومن هذا التصوّر كوّنت الأدب الإسلاميّ صورة له مع مواكبته للصّحوة الإسلاميّة المعاصرة، فكان هذا بمثابة الاجتهاد في سبيل إبرازه. ويكفي أنّه ينطوي تحت لواء الأدب الإسلامي الذي يعرفه نجيب الكيلاني في قوله: "تعبير فنيّ جميل مؤثّر، نابع من ذات مؤمنه، مترجم عن الحياة والانسان والكون وفق الأسس العقائديّة للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفّز لاتّخاذ موقف والقيام بنشاط ما".[1]

والاعتقاد انّ الأديب الأصيل الذي اختار هذا المخطط الإسلاميّ لا يجهل ما وصل إليه الأدب العالميّ من آفاق وصور، ولا يتجاهل ما اصطلح عليه من شروط في بناء نسيجه.

ولا ينكر ما تعارف عليه النّقاد والأدباء في بلورة أحداثه ولا يقطع ما بينهم وبين العطاء العالمي للأدب، ولكنّه في الوقت ذاته لا يتعبّد له ولا يقدّس تلك التّجارب والمعطيات والقواعد، فهو لا يعقل عمّا وراءه من فلسفات ومعتقدات تدخلت في المضمون والشّكل، وأثرت في توجيهها إلى صور وطرق تتّفق مع تصوراته وفلسفاته إذ "مع تنامي الفكر الإسلاميّ الصّحيح شهد الانبهار بالآداب العالميّة الغربيّة تطوّراً ملحوظاً سرعان ما تحوّل إلى عبوديّة ودعاية مستترة حينا ومتبرجة أحياناً كثيرة، الأمر الذي دفع بردود الأدب الإسلاميّ إلى أن تميل جهة التّطرّف والمبالغة في الاستقلاليّة والتّراثيّة، والدّعوى إلى التّبرم بين تلك الآداب لما تتضمنه من (إباحيّة وعبثيّة وإلحاد)".[2]

ولعلّنا بهذا ندرك أنّ الأديب الإسلاميّ لا يرسم طريقه ولا يحدّد صورته وشكله استجابة لتصوّرات غريبة عن الإسلام، ولا يخضع لضغوط المدارس والمذاهب النّقدية، إنّه لا يبذل الجهد لإرضاء الأذواق التي تربّت في محاضن الغرب فتجده غير مهتم بسخط الذين يرون التّقدّم هو الالتحاق بالغرب والتزام برامجه وخصائصه، إنّهم يمضون في طريقهم على هدى وبصيرة وثبات لا يستسلمون ولا يأبهون لذلك الزخم الذي يحمل كل خبائث الغرب وجراثيم المدنيّة الماديّة المعاصرة وأمراضها، لأنّهم يرون ببصائرهم آثار الأيدي الشّيطانية في كثير من ألوان الإبداع، إنّهم بهذا الهدى وهذه البصيرة يؤسّسون أدباً متميّزاً لا يبدعه إلا ذو حسّ موهوب ولا يتذوّقه إلاّ ذو إحساس طّاهر.

وحتّى يرتقي الأدب الإسلاميّ إلى هذه المرتبة يجب أن يبنى على أساسين اثنين: "الأوّل منه، فنّي يمثّل في القدرة على التّعبير الجماليّ المؤثّر بالكلمة، أمّا الثاني فبصدور هذا التّعبير في مضمونه عن التّصور الإسلامي للوجود".[3]

---

[1] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدّوحة الحديثة، قطر، ط1، سنة 1987، ص195.

[2] محمّد إقبال عروى، جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط1، السنة 1986، ص37.

[3] محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، المرجع السّابق، ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدو أنّ الشّرط الأوّل قائم على أساس المعرفة بأنّ هناك قواعد فنّية سابقة تعطي الإبداع قيمة فنيّة وشروطاً تعبيريّة حتّى لا يكون هناك ابداع عشوائي، ولذلك فإنّ هذه القواعد واجبة لا يمكن الاستغناء عنها "لأنّ التّراث الجمالي العالي ملكة شائعة".[1]

وقد تحدّث محمّد إقبال عروى مفصّلا عن القدرة على التّعبير الجمالي في الأدب الإسلاميّ في كتابع "جمالية الأدب الإسلامي" كما تحدّث عن الأدب بصفة عامة، وخصّص للأدب الإسلاميّ في هذا المجال متّسعاً من الحديث، فوجد أنّ الأدب الإسلاميّ لا يعتني بالجمالية الفنيّة بل يلتزم بها في جميع إبداعاته، والأدب الإسلاميّ لا يتحقق دون ذلك "مجسّداً العلاقة الحتميّة والحميميّة بين الجماليّة ورسالة الأدب في نموذج شعري وآخر روائي لم تتحكّم في اختيارهما أيّة نظرة مسبّقة".[2]

هذا لأنّ الإبداع في نظر المسلم نشاط إسلاميّ، ومبادرة من مسلم محصّن يستطيع أن يستعمل الكلمة والعبارة بطريقة مؤثّرة في دائرة صادقة سليمة تبعث المكانة السويّة على ارتباط وثيق بين الفكر والسّلوك.

وقد يتعلّق هذا كلّه بثقافة الأديب العامّة "فالأديب الإسلامي يأخذ ثقافته من الإسلام وهي تزيد وتنقص بقدر ارتباط الأديب بعقيدته".[3]

هذه المكانة تجعل الأديب المسلم لا يتّصل بالإسلام اتّصاله بالثّقافة، باعتبار هذه الأخيرة عنصراً حيويّاً موّجهاً نحو جميع المجالات، إنّما يتّصل الأديب اتّصاله بمسؤوليته في الحياة كمستخلف فيها، فهو يؤدّي أمانته لنيل ما يطمح إليه.

وعن قراءتنا لأدب إسلاميّ ما فإنّه سيقودنا إلى مجموعة من المفاهيم والمدلولات من حيث المعنى والمبنى، وأيضاً من حيث معرفة كنّه شخصية هذا الأديب سنجده إنساناً ليس عادياًبسيطاً، إنّه كالعالم المثّقف في دينه أو العارف بكتاب ربّه، حين يعتبر نفسه مسؤولا عن جانب مهم من جوانب حياته الإنسانية إنّه "رائد من روّاد البشرية".[4]

وأعتقد أنّ من أكبر الأسباب التي تفقد الأدب الإسلامي مكانته، حين يتخلّى الأديب عن مبادئ الإسلام وينغمس في الفكر الغربيّ وسلبياته الثّقافيّة والعلميّة، كما تؤدى التّبعية دورها في جر الأنوف وجردها من أثوابها ووطنيتها ومن الدّين والأخلاق أحيانا.

---

[1] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السابق، ص33.

[2] جمالية الأدب الإسلامي، المرجع السّابق، ص11.

[3] مصطفى عليان، مقدّمة في دراسة الأدب الإسلامي، دار المنار، السعودية، ط1، السنة 1985، ص37.

[4] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، [د.ط]، السنة 1997، ص20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ "أذواقنا وأفهامنا وعاداتنا صارت أقرب للمفاهيم الغربية منها للإسلام، ولذلك لم يكن مستغربا أن تقع في مثل هذه الأوهام وان تصبح أذواقنا بهذه الطّريقة".[1]

أمّا الأديب المسلم وهو يمارس تجربته ويبدع في عطائه، يظلّ على وعي أنّه مسلم أوّلاً ثمّ أديب ثانياً، وهو يدرك في عمله أنّ له غاية قصوى تكون تكملة لعبادة ربّه، وتحقيق العبوديّة لا يكون ولا يتّم إلاّ بإنتاج أدب إسلاميّ صرف وهو الأدب المتميّز، لأنّ المطلوب هو تصحيح أخطائه البشريّة، لا أن نلهث ورائها، ونقلّد أزياءها فحين يعيش الأدب صورة من صور الإسلام، فيعبّر عنه وينقله بصدق أين يكون هناك إبداع صادق عابر إلى النّفس دون شعور.

إنّه بهذا يحقّق مكانة يصوغ فيها أدباً ناشئاً من انضواء المجتمع كلّه، بل الأمّة الإسلامية الممتدّة في قارات العالم تحت لواء الإسلام، واحتكامها له، فالأدب الإسلاميّ أشمل وأوسع من أدب لغة أو عرق أو جنس، إنّه أدب أمّة وأدب منهج لا يعرف الإنسان مثليه في العالم منهج ربّاني بعيد عن عثرات البشر وتخبّطات النّاس وجهل المخلوقين.

"إنّه أدب الفطرة السّليمة فطرة الإنسان والحياة التي تخضع لخالقها وتؤوب إليه وتلتجئ وتتيقّن أنّها خلق من خلق إله وأنّها عائدة إليه".[2] وهو يطلق ويراد به الأدب ذو المنحى الإسلاميّ في التّصور والتّصوير أو المذهبيّة الإسلاميّة في الأدب، بيد أنّنا نجد الآراء تتعدّد لدى الدّاعين للأدب الإسلاميّ، فهو يقوم على قدر كبير من التّوسعة في المفهوم والمرتبة العالية من المكانة "هو الأدب الذي يلتقي مع تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان، سواء صدر عن أديب مسلم أو غير مسلم، وسواء كان ذلك يلتقي مع الحدود الزّمانية والمكانية لدين الإسلام، أم يسبقها زمناً ويتخطاها مكاناً إلى أدباء الحكمة الملتقية على تعاليم الإسلام في العصر الجاهلي مثل زهير بن أبي سلمى، وأدباء الدعوات الإنسانية العامة من غير المسلمين المعاصرين مثل طاغور في دعوته المثالية إلى القيّم الإنسانية النّبيلة، وينسب هذا الاتجاه إلى بعض الرّواد المنادين بالأدب الإسلاميّ ومن شايعهم من الدّاعين إليه، وتتمثّل حجتهم في ذلك أنّ الإسلام هو دين الفطرة الإنسانيّة عموما، وليس دين الأمة التي عرفت بذلك منذ بعثة محمّد صلّى الله عليه وسلّم فحسب، والأدب الإنساني يقوم بالفطرة السّوية ولا يخاصمها".[3]

---

[1] محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصول وسماته، المرجع السّابق، ص69.

[2] محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصول وسماته، المرجع السّابق، ص91.

[3] إبراهيم عوضين، مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربيّ المعاصر، مطبعة السّعادة، مصر، [د.ط]، سنة 1990، ص90.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"إنّه تعبير فنّي جميل مؤثّر نابع من ذات مؤمنة يترجم عن الحياة والإنسان ولكون وفق الأسس العقائديّة للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة ومحرّك للوجدان والفكر ومحفّز لاتّخاذ موقف والقيام بنشاط ما".[1]

الأدب الإسلامي، هي تصور فكري وتعبير فنّي أدبيّ لا يقف عند حدود الاستعانة المباشرة أو غير المباشرة بمعاني القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، وإنّما نجده في التّميز الذي أراده الإسلام لأدبه وأدبائه في التّعبير عن صدى القيم في النّفس تعبيراً حيويّاً منبعثاً من التّصور الإسلامي.

فهو يتعدّى ما يلوح في ظاهر النّفس إلى ما يجول في داخله من فكر وإحساس وتصوّر وما يعرف فيه من إيحاء بمواقف إسلاميّة، وقد ذكر سيد قطب في كتابه النقد الأدبي أصوله ومنهجه:

"أنّ العمل الأدبي تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية".[2]

ويعود الكاتب ويعرّفه في مبحث منهج الأدب بأنّه كسائر الفنون: "تعبير موح عن قيّم حيّة ينفعل بها ضمير الفنان... هذه القيم تنبثق من تصوّر معيّن للحياة والارتباطات فيما بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض".[3]

وبهذا يكون الأديب الإسلامي صاحب صفات في أدبه، ومدركاً في سلوكه، لأنّه يتحرّى الصّدق في إبداعه ويلتزم بالتّصور الإسلامي في أهدافه وآماله وأشواقه.

واقعية الأدب الإسلامي:

قد أنعم الله على الأديب المسلم بالإيمان الذي يعتبر فكراً، وعمل الصّالحات تعبير عنه، وذكر الله حسّاً وعقلاً وتصوّرا تطبيق سلوكي، والانتصار للحق سلوك إيجابي، وكلّ ذلك ميّز الأدب الإسلاميّ على أنّه تصوير للشّخصية الإسلاميّة في تكوينها الفكريّ ومنهجها السّلوكيّ.

ويبدو أنّ القارئ المعاصر يجد في تذوّقه ما يسعى إليه من ثقافة مركّزة، في الوقت ذاته ما ينشده من متعة روحية يخفف عن ذهنه أثقاله المتراكمة.

ولعلّ السّؤال الهام الذي يطرح نفسه علينا الآن هو: من أين يستمد الأديب مادّته؟ وكيف يوفّق بين الصّدق في إثبات وجود وعي حضاري وبين الفتن؟ وبصيغة أوضح كيف يرفق بين الواقع الفنّي الخيالي للرّواية والواقع الإسلامي الذّي يريد أن يسهم في بناء حضارة وفق وعي صادق؟

وللإجابة عن هذا السّؤال نجد أنفسنا مدفوعين لطرح سؤال آخر يمكن أن توصلنا الاجابة عنه إلى إجابة السّؤال الأوّل:أيسبق الواقع الفكرة أم تسبق الفكرة الواقع؟

---

[1] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، المرجع السّابق، ص36.

[2] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، المرجع السّابق، ص8.

[3] المرجع نفسه، ص8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّه جدالٌ وجد نفسه مطروحاً أمام مجموعات من المفكّرين والنّقاد والفلاسفة، وهم يبحثون عن أيها أسبق إلى الوجود "فذهب أصحاب ما يسمونه بـ "الفلسفة الوهميّة" إلى أنّ الإنسان هو الذي يوجد الواقع وأنّ فكر "الصّفوة الممتازة" من البشر المقصود بها شعوب الدّول الرّأسمالية التي استطاعت بتمييزها أن تملك رقاب الشّعوب الأخرى"،[1] ويبدو أنّ هذا الفكر هو الذي يوجد النّظام ويبدع القوانين ويفرض الواقع ولهذا فلا مجال للبحث عن الواقع خارج حدود الفكر الإنساني، والإجابة عندهم هي أنّ الفكرة في الأدب هي التي تسبق الواقع بل هي التي توجده أصلاً وليس العكس.

وبمقال هذا المذهب يقف أصحاب "الفلسفة الواقعيّة" منادين بأسبقية الواقع عن الفكرة، وينطلق النّقاد من هذا المبدأ ليثبتوا ضرورة اعتماد الرّواية على الواقع أوّلا ليكون الفكر والخيال تاليين له فيها.

وهم في ذلك يؤكّدون أنّ "خيال الأديب لا يمكن أن يعمل في الأصل منفصلاً عن الواقع المحيط به مهما ألحّ الأديب على الانفصال".[2]

وأمام هذه الآراء المتضاربة والمذاهب الفلسفيّة المتناقضة نجد الأدب الإسلامي موقفاً يخالف الموقفين كليهما، فإذا كان للأديب أن ينطلق من الواقع وهو ما يؤكّده الأدب الإسلامي فليس هو الواقع البشري المبتكر من قبل "صفوة ممتازة" أو "طبقة كادحة" أو الواقع المادّي المحسوس القصير النّظر وإنّما هو "الواقع الأرضي الذي لا ينفصل عنه الواقع السماوي بحقيقته العليا وروحانياته وإعجازه وقدرته، إنّه الواقع الإسلامي الشّامل لكل عناصر الواقع القائم واحتمالاته غير المنظورة أو المدركة".[3]

وعلينا ألاّ نذكر المسلّمة التي تعتبر الأدب"يعيش وينطلق من واقع عيني تؤطره حدود زمانية ومكانية تلعب دورا فعّالا في تشكيل وبلورة إحساسه وأفكاره وتطلّعاته، وغيرها من الأمور التي لا تلبث أن تطفو على السّطح في شكل ممارسات أدبية واجتماعية".[4]

ويظهر الواقع في الأدب الإسلامي واقعا روحيّاً، لأنّه هو الذي كوّن لها التجربة الصّادقة والتّعبير الجميل، ومن جهة أخرى يجب الاعتراف بالصيّاغة الفنيّة التي تعتبر "الأداة المباشرة الوحيدة لنقل تلك المشاعر والصّور التي تكوّنت في نفس الرّوائي وإيصالها إلى وجدان الآخرين من القراء"،[5] دون

---

[1] أحمد بسام ساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنار، السعودية، ط1، سنة 1985، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص32.

[3] أحمد بسام ساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، المرجع السّابق، ص32.

[4] جمحمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، المرجع السّابق، ص41.

[5] صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، دار المنار للنّشر، السّعودية، ط1، السنة 1985، ص54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يكون استعمال هذا الفنّ بطريقة عشوائية، وذلك لأنّ الأديب يريد أن يوصل ما يشغل نفسه إلى الآخرين ليفهموه ويتأثّروا بما تأثّر به وانفعل.

فالواجب أن يكون إيصاله جيّدا وأن يخاطبهم بالوسيلة التي يفهمونها أو على الأقل لا يعجزون على فهمها.

فتقصير الأديب في أي من تلك الجوانب سيعرض أدبه إلى السّقوط ولا يدخله في باب الأدب الإسلامي ولا يلّج به إلى حدود عالمه وهنا تتبيّن الحقائق التّالية:

حقائق الأدب الإسلاميّ:

1. إنّ الأدب الإسلاميّ التي نعنيه ويدعوا الدّاعون النّاس إليه، ه ذلك اللّون من الأدب الذي يحمل عاطفة أو نزعة إسلامية، ويعبّر ويدلّ على مفهوم إسلامي، أو يدعو إليه، وبهذا فالذي يميّز الأدب الإسلاميّ عن غيره: فنّ القول والتّصور الجميل لأنّه"الصّورة التي يستضيء بها الأديب المسلم في صياغة أدبه صياغة فنيّة جمالية، وتوجيه فكره توجيهاً إسلاميّاً تامّاً، وإدراك أبعاد الأثر الفنيّ في النّفوس بتحريك مكامن الخير فيه، ودرء ما فيه من غوائل الفجور، ونوازع الشّرور، وفي استخدام الكلمة الأدبيّة سلاحاً في المعركة دفاعاً عن العقيدة والكرامة".[1] ومن هنا نجد أنّ الأدب لن تكون له قيمة، ما لم يعبّر عنه في صورة فنيّة مثيرة ينقلها إلى القلوب قبل العقول.
2. الرّواية الإسلامية يرسي قواعدها الإسلام، ولا يرسيها هوى بشر ولا رغبة متاع، ولا نزوة طامع، فشتان بين أدب يقوم على قواعد ترسيها العقيدة ويرسيها الوحي المنزّل من عند الله تعالى وترسيها النّبوة والبلاغ والبيان، وبين أدب يخرج من تجارب محدودة وتصوّرات مكدودة لتضع قواعد من عندها تفرضها على النّاس أنّها حق، ثم يأتي آخرون ينقضون هذا الذي زعم غيرهم أنّه حق فيزعمون زعما جديدا ويطرحون وهما جديدا، ثم ينهض غيرهم ليزعم ما زعموا، وتمضي القافلة في جهود متضاربة متناقضة لا تكاد تمسك بينها بشعاع من نور، لكنّ الرّواية الإسلامية تحاول وتسعى لأن "تبنى قواعدها على عقيدة الإسلام والوحي المنزّل، ومن هنا تصدر أوّلا من الإسلام: فمن القرآن والسّنة تنبثق قواعد الأدب الإسلامي، ثم هي مهمة الموهبة المتفتّحة، إنّها مهمة الموهبة التي ترعاها العقيدة ويسوغها الإيمان، الموهبة التي أسلمت لربّ العالمين، إنّها مهمة أمة كذلك".[2]

ولأنّ الإسلام يوّسع رقعة الحياة لتشمل ما بين السّماوات والأرض وما بين الدّنيا والآخرة وما بين الإنسان والكائنات الحيّة جميعها... فالمجال هنا متّسع أمام الأديب المبدع. إذ يشمل إبداعه الكون

[1] يوسف العظم، الشعر والشعراء في الكتاب والسّنة، دار الفرقان، عمان، ط1، سنة 1983، ص52.

[2] عدنان علي رضان الأدب الإسلامي، إنسانيته وعالميته، دار النحوي للنشر، الرياض، السعودية، [د.ط]، [د.ت]، ص40-41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلّه والوجود جميعه كلّ ما يضرب من جنباته، شريطة أن "يتصوّر الأديب هذا الكون تصوّرا صحيحا وسوّيا لم يتفاعل معه حسب تصوّر الإسلام كذلك فيرى كل جزئية فيه تقول بلّسان الحال أو المقال ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[1]، ومن جهة أخرى تعبّر عنه تعبيرا صحيحا يتلاءم مع ذلك التّصور".[2]

وبهذا يسعى الأديب الإسلامي أن يعبّر عن تصوّراته التّعبير اللاّئق بالإحساس الإسلامي أو بالإحساس غير المتصادم مع المفهوم الإسلامي "فيحقق الأدب روحا مبدعة منطلقة في آفاق الكون بلا أسر أو قيد إلا قيد النّواميس الكونية والشّريعة الإلهية التي تمنع من الخروج عن فطرة الإنسان إلى منزلقات الشّذوذ والحيوانية والمادية".[3]

ومن هنا فقد يكون الأدب الإسلامي بهذا المفهوم وهذا التّصور للكون والحياة الإنسان متجليّة مبتكرة ليس عليها من حدّ أو قيد لا لشيء إلاّ لأنّه حقّق مكانته الرّفيعة والتزم بخصائصه الإسلامية.

مقوّمات الأدب الإسلامي:

يعتمد الأدب الإسلامي في تكوينه وتناسقه وتمييزه على مصادر أساسية ينهل منها الأديب، فيغدو أدبه إبداعا إسلاميا خالصا، وإنسانيا ساميا، وعالميا خالدا، وهذه المصادر هي:[4]

- القرآن الكريم.
- السنة النّبوية.
- سيرة الصّحابة والصّالحين.
- آداب اللغة العربية.
- الآداب العالمية.

يعدّ القرآن الكريم المصدر الأوّل للتشريع الإسلامي والبلاغة العربية لأنّه أعظم معجزة في الكون قد فاقت كل المعجزات فقد نال ما لم ينله كتاب في الدّنيا من الحفظ والرّعاية والتّوثيق وعدم التّحريف، وسيظلّ المصدر الأعظم دون منازع، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[5]

---

[1] سورة طه، الآية 50.

[2] صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، المرجع السّابق، ص59.

[3] محمد المبارك، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الخير، بيروت، [د.ط]، [د.ت]، ص118.

[4] أحمد عطية السعودي، شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، دراسة تأملية في الرؤى الفكرية والتقنيات الإبداعية، دار المأمون، الأردن، ط1، السنة 2010، ص26.

[5] سورة الحجر، الآية 9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقرآن الكريم "هو البحر المحيط، ومنع يتشعّب علم الأوّلين والآخرين كما يتشعّب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها".[1]

فكان من كرم الله تعالى على المسلمين أن يسر لهم هذا الكتاب الكريم، فجعل تلاوته سهلة محبوبة وجعل الاستماع إليه سهلا مرغوبا وجعل تطبيقه والالتزام به أمرا ميسورا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17)﴾.[2]

ومع مطلع العصر الحديث وانفجار النّاس في قاع العالم كان تيسيرا من الله عزّ وجلّ على عباده تسخير جميع الوسائل لنشر هذا المصدر الرّباني، من أوراق، وأقراص، وأشرطة كما في شبكة المعلومات والإذاعات والتلفزة التي عملت على نشره في كلّ بقاع الأرض بلغات متعدّدة وتفسيرات لكل آية. والقرآن ثقيل كما وصفه خالقه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5)﴾[3]. "وهو ثقل معنوي في مهمته ورسالته، وتشريعاته وأحكامه ومعانيه وفي صياغة شخصية المسلم فيجعله ثقيلا في اهتماماته وآماله ونشاطاته وتصوّراته وفي وظيفته، وفي حركته وسعيه، ثقيلا في نسفه وبيته وعمله"،[4] والأديب المسلم يستمد من هذا المصدر كلّ المقوّمات التي تساعده في نجاح عمله الإبداعي.

ولعلّ من أهّم المقوّمات التي يغرسها القرآن الكريم في شخصية الأديب المسلم ويأخذه بالعناية بها والمحافظة عليها وهي:[5]

أوّلا-التصوّر الصّحيح:

وهو غاية الكتاب الذي أنزله الله ليخرج النّاس من الظلمات إلى النّور، ويبصرهم بالحياة والكون، ويسمو بعقولهم، ويهذّب نفوسهم، ويجعلهم هداة طائعين، ويبدو أنّ ذلك قد تجلّى في أمور أبرزها:

- معرفة الخالق والرضوخ لعظمته والإقرار بوحدانيته.
- الإقرار برسالة محمد صلّى الله عليه وسلّم وأنّه خاتم الأنبياء والشّفيع يوم القيامة.
- الإيمان بالله خالق الكون والحياة والموت، واليوم الآخر.
- الإيمان بأنّ الله خلق الكون وسخرّه للإنسان ليكون خليفة فيه.
- الإيمان بأنّ النّاس سواسية لا فرق بينهم إلاّ بالتّقوى.

[1] أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن ودوره، تحقيق لجنة إحصاء التراث العربيّ في دار الآفاق الجديدة، بيروت، [د.ط]، [د.ت]، ص8.
[2] سورة القمر، الآية 17.
[3] سورة المزمل، الآية 5.
[4] صلاح الخالدي، هذا القرآن دار المنار، عمان، ط1، السنة 1993.
[5] شخصية الأديب المسلم والإبداع الأدبي، أحمد عطية السعودي، المرجع السّابق، ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا التّصور هو الذي يحقق للأديب الهدف المنشود الذي يسعى إليه من خلال إبداعه وبحثه فيفهم الواقع ويحسّن قراءة المستقبل.

ثانيا-الإبداع والنّبوغ:

كان من أعظم نعم الله على الإنسان التي لا تعدّ ولا تحصى نعمة البيان، وهي النّعمة التي تفرّد بها الإنسان عن باقي المخلوقات، حيث بها يتّبع الرّوائي المسلم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في تبليغ الرّسالة لقوله تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. فالإبداع وسيلة الأديب في التّعبير عن أدبه ودعوته مستخدما في ذلك الكلمة المؤثّرة والهادية الى السّبيل القويم مقتديا بالرّسول الكريم لقوله تعالى: ﴿...وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾.[2]

"وقد أكرم الله سبحانه الإنسان إذ خاطب فيه أسمى خصائصه، وهو عقله بالكتاب المبين".[3]

ومن نعم الله أيضا أنّه القرآن، أنزل بلغة العرب وعلى أساليبهم في الحقيقة والمجاز ليكون مفهوما لديهم "وكان الصّحابة أقدر النّاس على فهم القرآن لأنّه نزل بلغتهم، وشاهدوا الظروف التي مزل فيها القرآن".[4]

فقد كان العرب قبل ظهور الإسلام يتباهى بعضهم بعضا بالفصاحة وحسن النّظم والبّلاغة، "فكان العرب قد بلغوا مبلغا عظيما من تهذيب اللّغة ومن كمال الفطرة، ومن دقّة الحسّ البياني فجاءهم القرآن أفصح كلام وأبلغه لفظا وأسلوبا معنى، وتحدّاهم فلم تقم لهم قائمة بعد أن أعجزهم من جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم ومن جهة الكلام الذي هو يسدّ عملهم، بل تصدّوا عنه وهم أهل الباسلة والبأس".[5] وكان من بين معجزات القرآن سحر بيانه الذي شرح الصدور للإسلام واستحوذ على القلوب.

ثالثاالتّفرد الفنيّ:

يسعى الإسلام بأهدافه النبيلة إلى تخليص الفنّ الجميل ممّا أصابه من الفحش واللّغو حتّى يصفوا ويكون سبيلاً لمعالجة الأفئدة وإحياء الضمائر، لأنّه "يعمل لأن تكون للكلمة قدرها في تربية النّفوس وتقويم الأخلاق، وإذ لم يقم على هذا الفن حارس من خلقٍ أو دين كان قوّة من قوى الشّر

[1] سورة النحل، الآية 44.

[2] سورة النساء، الآية 63.

[3] حسن عيسى، فصول في الدعوة الإسلامية، دار الثقافة، قطر، ط1، السنة 1985، ص142.

[4] أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، السنة 1933، ص195.

[5] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ أداب العرب، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، السنة 1974، ص166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المدمّرة".[1] فللقرآن الفضل الأعظم في توجيه القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون وإلى خفايا النفس البشرية.

[1] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي،[د.ط]، [د.ت]، ص196.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com